

على أن محاولة الإبانة عن نضج اللغة والأسلوب عند فرجيل في المناسبة الراهنة تعتبر مهمة لا ضرورة لها . ففي وسع كثير من الناس أن يقوموا بها على وجه أفضل مني . وأظن أننا ينبغي أن نكون جميعاً متفقيين . ولكن مما يجدر إعادته أن أسلوب فرجيل ما كان له أن يكون ممكناً دوغماً أدب من ورائه ، ودون أن تكون له معرفة حميمة بهذا الأدب بحيث كان ، بمعنى من المعاني ، يعيد كتابة الشعر اللاتيني — كأن يقتبس عبارة أو وسيلة من سلف له ويدخل عليها التحسين . لقد كان كاتباً مثقفاً ترتبط ثقافته كلها برسائله ، وكان تحت تصرفه من الأدب ما يكاد يكفيه ، ولا يفيض عن حاجته . أما نضج الأسلوب فما أحسب أن أي شاعر وصل قط إلى تمكّن أعظم ، من البنية المعقدة ، في المعنى والصوت على السواء ، دون أن يفقد ينبوع البساطة المباشرة الموجزة المدهلة ، عندما كانت المناسبة تقتضي ذلك . ولست في حاجة إلى الإسهاب في ذلك ، ولكنني أعتقد أن الأمر يستحق أن يقال فيه كلمة أخرى عن الأسلوب العمومي<sup>(١)</sup> ، لأن هذا شيء لا نستطيع أن نصوّره على نحو كامل بالاعتماد على الشعر الانكليزي . ونحن عرضة لأن نبخسه حقه من التقدير . ففي الشعر الأوروبي الحديث قد يكون أدنى تقريب إلى مثال الأسلوب العمومي هو ما نجده لدى دانتي وراسين : وأقرب من عندنا إلى هذا المثال في الشعر الانكليزي هو ( بوب ) . وأسلوب بوب أسلوب عمومي ضيق جداً في مداه بصورة نسبية . إن الأسلوب العمومي هو ذلك الذي يجعلنا نهتف ، لا قائلين : « هذا رجل ذو عبقرية يستعمل اللغة » بل قائلين : « هذا رجل يحقق عبقرية اللغة » . ونحن لا نقول هذا عندما نقرأ ( بوب ) ، لأننا نعي أكثر مما يجب ، كلّ ينايغ اللغة الانكليزية التي لا يمتح منها (بوب) ، ونستطيع أن نقول على الأكثر : « هذا يحقق عبقرية اللغة الانكليزية في عصر خاص . ونحن لا نقول هذا عندما نقرأ